# الاضطهاد الديني لقدماء الفلاسفة اليونان

أ.م.د. حامد حمزة حمد
جامعة واسط/كلية الآداب

**مقدمة**:

يعد الفكر الفلسفي ظاهرة من ظواهر الحضارة الإنسانية، له أصوله وتاريخه الطويل، تطور نتيجة لصراع خفي تارة أو علني تارة أخرى بين الإنسان ومحيطه، يدفعه فضول الإنسان في معرفة ما يكنزه له الغد من مفاجئات، وهذا حال معظم العلوم الأخرى، فلايمكن لأي علم أن يستغني عن ذالك الصراع لان فيه سر ديمومته فمعظم الأفكار تتولد إما عن أفكار سبقتها وتطورت عنها اوعن أفكار تصارعت معها أو عارضتها ونتجت عنها بالضرورة فضلا عن ماكان يحيط بها من ظروف.

كانت الفلسفة اليونانية نسقا فكريا خاضعا لقواعد المنطق اختلفت عن كل الفلسفات اللاحقة، فعلى الرغم من اعتقاد الكثيرين أن الفلسفة اليونانية تطورت نتيجة لعوامل خارجية، لكن الحق أن السبب الرئيس في تطورها كان داخليا تمثل في الحركة العلمية التي سادت القرن السادس قبل الميلاد والتي تجلت في أول الأمر بنقد النظم الدينية التي تتمثل بمجموعة الأساطير الخرافية التي في معظمها من نسج الخيال كما شمل ذالك النقد جوانب الحياة العامة للمجتمع اليوناني آنذاك.

أن كل نتاج فكري وليد ظروف معينة (اجتماعية، اقتصادية، سياسية....الخ ) لذالك فالفلسفة اليونانية لم تكن غريبة عن المجتمع اليوناني، بل هي وليدة تلك الظروف التي عاشها، فضلا عن العادات والتقاليد والأفكار السائدة فيه. والمجتمع اليوناني هو الأخر لم يكن منعزلا عن المجتمعات المجاورة.

أن أصالة الحضارة اليونانية لاتقوم على أساس أن اليونان لم يستعيروا أي شي من الخارج، بل على ما فعلوه بالأشياء التي استعاروها واقتبسوها من الآخرين ثم طوروها لتصبح إنجازا يونانيا جديدا. لقد كانت الفلسفة اليونانية الوجه المشرق للحضارة اليونانية تمثلت في فكر العلماء ونتاج الفلاسفة فضلا عن كونهم هم نتاج عصرهم ومجتمعهم وبالتالي فهم جزء من تلك الحياة على الرغم من تعارض الكثير من أفكارهم مع الأنظمة والقوانين السياسية والعقائد الدينية السائدة.

أن الفلسفة اليونانية لم تنشأ بعيدة عن الدين، بل إنها ولدت منه لذلك فلم تكن حرة طليقة وقد وجدنا الكثير من أراء الفلاسفة اليونان حتى المتأخرين منهم تغلب عليها النزعة الدينية، كما أن الصراع بين الفلسفة والدين عند اليونان كان قائما وعلنيا منذ بداية التفلسف ولم يكن الاضطهاد باسم الدين وليد عصر التوحيد عند قدماء اليونان، كما لم يكن نتاج النزعات المتطرفة التي ظهرت نتيجة الفهم الخاطئ للديانات السماوية عند البعض لاحقا، بل يمتد ذلك إلى الآلاف السنين حينما بدا الإنسان يقدس مظاهر الطبيعة وتبلورت لديه فكرة الإله المقدس المنزه عن البشر وان كل خروج عن تلك التصورات بمثابة الإلحاد أو الإجحاف بحق الآلهة والدين.

وفي بلاد اليونان على الرغم من السلطة الدينية كانت وثنية وتؤمن بتعدد الآلهة فقد سادت الروح الدينية والتنسك والتصوف، وصار من الطبيعي أن كل من ينكر تلك السلطة يتهم بالإلحاد والكفر، وهكذا كان حال الكثير من الفلاسفة.

أن التوجه الفكري للإنسان يرتبط ارتباطا وثيقا بالمناخ التربوي الذي يعيش ضمنه وغالبا ما تتشكل أفكاره بنقد الآراء والمعتقدات السائدة في المجتمع، كما للمؤثرات الخارجية دور في ذالك، ولكن تبقى العوامل الذاتية لها الدور الأكبر في توجيه فكر الإنسان، فالمزاج الخاص للفرد يجعل تعامله مع موضوعات الفكر مختلفة عن الآخرين، كما أن للتجربة الذاتية دور في توجيه ذالك الفكر خاصة الميول العلمية والأدبية وحتى الميول الدينية، لذالك فلا عجب أن نرى معظم الفلاسفة اليونان رفضوا التصورات الدينية التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني مما سبب لهم الكثير من الأذى والاضطهاد وأودى بحياة البعض منهم .

**جذور العقائد الدينية عند اليونان.**

الحضارة اليونانية زاخرة بالعقائد والأسرار الدينية وتلك الأسرار أعظم الطقوس أثرا في المجتمع اليوناني قديما، كما تعلقت عقول اليونان بكثير من الآلهة التي كان معظمها غير يونانية ولم تكن حياتهم الدينية جامدة على الرغم من إنها بلغت من التعقيد والتنوع مبلغا كبيرا والسبب إنهم كانوا غير مقيدين بعقيدة أصيلة أو واقعين تحت تأثيرها، فضلا عن عدم وجود ديانة سماوية راسخة في المجتمع اليوناني ومن الممكن أن يكون ذالك سببا في التخفيف من تطرف الديانة اليونانية وغلوائها.

لقد كان اليونان أكثر نزوعا إلى الخرافات الشعرية منهم إلى العلم الإلهي[١]، ومع ذالك كان تدينهم عميقا وكان معظمهم يشترك في الاحتفالات الدينية، كما أن معظم العبادات كانت مستوحاة من البلدان المجاورة، فعبادة الإله ابولو انحدرت إليهم من الشمال عن طريق الاخيين والديانة الاولمبية هي الأخرى دخيلة عليهم وحديثة العهد (٧٧٦ق.م)[٢]، وهي في بعض جوانبها تقليد سياسي أكثر من كونه تقليد ديني، وفكرة تناسخ الأرواح وعبادة الإله إيزيس واوزيريس الذي أصبح عندهم يسمى زيوس جاءت من مصر كما يروي هيرودوت ذالك[٣]. إما الإلهيين ديميتيرا وديونيسوس فكان معروفان في جزر بحر إيجة[٤]، فقد ظهر الاخير في تراقيا وتغلغل في العالم اليوناني وارتبط بشخصية شاعر اسمه اورفيوس وسميت عقائده بالاورفية، إما الأولى فكانت رمزا للعقيدة الدينية في مدينة الوسيس.

لقد كانت الحضارة اليونانية إحياء وامتدادا لحضارة اسبق منها كانت زاهرة في الجزر الأيونية، فقد قامت في بلاد اليونان (الجزر اليونانية وشبه جزيرة اليونانية )، أو ما يسمى بحوض البحر الإيجي حضارة زاهرة في المدة الواقعة بين (١٧٠٠/١٤٠٠ق.م)، وتذكر المصادر إن مينوس أول من اشتهر في بلاد اليونان عندما إنشاء أسطولا قويا ووحد تلك الجزر تحت سيطرته وطرد الكاريين الذي يعتقد إنهم السكان الأصليين لتلك الجزر وأسس إمبراطورية قوية فرضت سيطرتها على البحر، وقد امتازت تلك الحضارة باختلاف عادات وتقاليد وآداب وفنون كل جزيرة منها عن الأخرى[٥].

لقد كانت الجزر الأيونية المسرح الأول لظهور الفلسفة والأدب ولم تكن القيود الدينية قوية خاصة في القرن السادس قبل الميلاد بسب تعرض تلك الجزر للغزوات المستمرة من قبل أقوام لها ثقافات مختلفة، لذالك كان النسيج الاجتماعي في أيونيا عبارة عن خليط من بقايا أولئك المستعمرين، والفلسفة اليونانية التي نشأت في أيونيا هي في الأصل سلسلة طويلة من جهود ليست يونانية بل تمتد إلى ما قبل هوميروس. ومن الجدير بالملاحظة إن الأشعار الهوميرية ظهرت في أيونيا، والحضارة اليونانية في زمن هوميروس هي الأخرى لم تكن نبتا جديدا بل هي امتداد للحضارة الإيجية[٦].

لقد تمكن الأيونيين الأول من أن يصنعوا لهم بيئة فكرية خاصة تلائم مزاجهم السياسي والفكري والديني، ولقد كانت مالطيا (ميلتس)، ملتقى رجالا جاءوا من مختلف البلدان المجاورة ذو نشاط عقلي بعثه فيهم التنافس التجاري وقد تحرروا من اسر التقاليد الدينية لطول غيابهم عن أوطانهم وهياكلهم ومذابح ألهتهم، كما كان أهل مالطية أنفسهم يسافرون إلى تلك البلدان البعيدة مما ساعدهم على الإطلاع على حضارات مزدهرة مثل حضارة بابل ومصر وفينيقيا، وكان ذالك سببا في منحهم الحرية في الاعتقاد بما يلائم تطلعاتهم مما سهل ولادة العلم والفلسفة.

**عصر التمرد (ثورة الفلاسفة):**

أن الأيمان بمصداقية وسائل المعرفة عند أوائل الفلاسفة اليونان خاصة الطبيعيين منهم واتجاههم مباشرة إلى تفسير الطبيعة دون الخوف من عدم قدرتهم على ذلك هو الذي جعلهم يبتعدون عن التفسيرات الدينية والأسطورية لمبدأ الوجود ونتيجة لذالك ظهرت أراء علمية أكثر عقلانية من الآراء الأسطورية السابقة. كما أن الشك في المعرفة ووسائلها من شانه أن يوسع حرية الفكر الإنساني ويدفعه للبحث عن مجالات أخرى وحلول أكثر عقلانية وهكذا كان شأن أوائل الفلاسفة اليونان، لذالك فان مبدأ النقد الذي سار عليه معظم الفلاسفة والذي أسس على مبدأ الشك كان عاملا مهما في توسيع مجال حرية الفكر، فالشك الأول الذي نهض به طاليس (٦٢٤ــ٥٤٦ق.م)، حول مبدأ الوجود الأول قد فتح مجال الصراع الفكري لاحقا على أشده بين الفلاسفة كما يمكن أن يكون ذالك أول محاكمة للعقل الإنساني من قبل الإنسان نفسه بقصد فتح مجالات أخرى من البحث والاستقصاء وعدم الركون إلى حل نهائي، فكانت تلك نقطة البداية في مجال حرية الفكر عند الفلاسفة اليونان بداية للجدل الذي احتدم لاحقا حول اصل الوجود ومكوناته وموضوعات أخرى تتعلق بالوجود الإنساني.

لقد كان القرنان السادس والخامس قبل الميلاد يمثلان عصر التحولات الثقافية والاجتماعية وحتى الدينية في المجتمع اليوناني خاصة في المدن الأيونية، فقد ازدهر العلم والفلسفة وفقدت الكثير من المعتقدات الدينية نفوذها بين الطبقات المثقفة وتعددت الاتجاهات الفكرية وتشعبت الحاجات الاجتماعية والعلاقات المختلفة على الصعيدين الداخلي والخارجي وأصبحت الحلول الدينية القديمة ومآثر الحكماء اليونان الأسطورية غير كافية لتنظيم الحياة والمجتمع فكان لابد من فكر جديد يشبع طموح الإنسان العلمي ويعنى بحل مشاكله.

أن افتراض مادة أولى للوجود بغض النظر عن نوع المادة هو بحد ذاته إنجازا عقليا وإثباتا لوجود العقل وحرية الفكر في البحث عن سبب أو اصل واحد في جملة المتغيرات[٦]، كما انه دليل على قدرة العقل اليوناني في الاستنتاج والتحليل وتجاوز الأسطورة.

لقد كانت مؤثرات الحركة العلمية التي تزعمها طاليس خارجية، فما اكتسبه من خبرات علمية من خلال تجواله في بابل ومصر وفينيقيا التي يشك في إنها مسقط رأسه[٧]،أعيد إنتاجها وتطويرها في بلاد اليونان، ولكن من اللافت للنظر وعلى الرغم من أن العقائد الدينية في بابل ومصر عقائد راسخة إلا إننا لم نجد أي اثر للعقيدة الدينية في فكر طاليس والسبب في ذالك يعود إلى الوضع الذي كانت تتمتع به مليتس(مالطية)[٨]، فقد كانت ملتقى التجار وأرباب العمل الحر الذين لا يحبذون أن يجعلوا للميثولوجيا أو الخرافة نصيبا في أعمالهم المالية، كما عرف عن أهلها حب المال والإسراف في الملذات فضلا عن كون طاليس رجل علم حاول الابتعاد عن الخرافة واهتم بالتأمل .

ومن الجدير بالملاحظة أن طاليس كان مطلعا على العقائد الدينية السائد في بلاد اليونان لكنه لم يعرها أهمية تذكر وحتى قوله في(أن الأشياء ملائى بالآلهة)[٩]، لم يكن نابع من تصور ديني، بل كان ذلك محل تهكم وعدم اقتناع بطريقة العبادات التي كانت سائدة في بلاد اليونان القديمة، فقد كان لكل أسرة ألهها الخاص، توقد له النار في البيت ولاتنطفى وتقدم له القرابين من الطعام والخمر قبل كل وجبة ويقتسم الطعام معها[١٠]، كما كان لكل قبيلة أو مدينة إلهها الخاص، فكانت مدينة أثينا تعبد الآلهة أثينا، ومدينة الوسيس تعبد ديمترا، وساموس تعبد هيرا، وافسوس تعبد ارتميز، وبوسدونيا تعبد بوسيدن، وكانت أضرحة الآلهة في مكان مرتفع وسط المدن، وإذا ما خرجوا للحرب حملت معهم الآلهة في مقدمة الجيش وفي الغالب كانت الآلهة تستشار أو تسال قبل البدء بأي عمل[١١].

لقد كان اليوناني على الرغم من قساوته متدينا، فقد عبد الجبال والمغارات والإعداد والأشجار والشمس والقمر والأفاعي والأغنام والثيران وقلما يسلم شيء من عبادته وكان يعتقد أن الهواء مملؤء بالأرواح الطيبة منها والشريرة، لذلك فكل شيء عند اليوناني كان عبارة عن اله، وهكذا كانت مقولة طاليس تهكمية تعبر عن رفضه لتلك العبادات التي لا تنفك من أن تؤله كل شيء في الوجود. ومن الجدير بالملاحظة أن طاليس لم يتعرض لأي نوع من المضايقات الدينية على عكس ما كان حال الفلاسفة الآخرين، والسبب في ذالك انه لم يعلن رفضه للعبادات والتقاليد الدينية، فضلا عن كونه اشتهر بوصفه احد الحكماء اليونان السبعة.

أن الفلسفة لم تكن لتوجد مع طاليس خاصة إذا ما أسلمنا بالفكرة التي تقول أن الفلسفة ولدت في أحضان الدين[١٢]، عندها يكون دور طاليس وأهميته تكمن في الإشارة إلى تلك الأفكار الفلسفية في الأساطير والملاحم السائدة ولكن على الرغم من أن معظم القيود التي تقيد حرية الفكر هي قيود دينية إلا أن ذالك لم يؤثر على حرية الفكر اليوناني لان معظم الأفكار التي كانت واضحة المعالم في الفلسفة هي في الأصل جزء من الأساطير الدينية لذالك فان تطويرها لايعني التمرد عليها، وهذا ما حدث مع الأفكار التي تطرقت إلى اصل الوجود الأول عند أوائل الفلاسفة، فمثلا فكرة الماء كمبدأ أول لم تكن جديد عند طاليس، بل هي فكرة أسطورية قديمة وجدناه في الفكر الشرقي ألرافدي القديم[١٣]، كذالك فكرة الابيرون أو اللامتناهي عند انكسيمندر (٦١٠ــ٥٤٧ ق.م)قريبة الشبه من تلك الصورة التي يعرضها هز يود عن الخواء البدائي في اصل العالم وهي عبارة عن صياغة جديدة لمفهوم مجرد لتلك الصورة غير الواضحة لذلك الخواء الأسطوري الذي كان واحدا وكلا في أن واحد[١٤]. كما أن انكسيمندر يضع لذلك تبريرا دينيا أكثر تطرفا حينما يقول أن اختياره لمبدأ الابيرون ورفض فكرة الماء عند طاليس جاء تطبيقا لمبدأ العدالة وتجاوزا للظلم في حالة اعتماد مبدأ واحد كأصل أولي للعالم لان في ذالك مدعاة لهذا الأصل في أن يتجاوز على العناصر الأخرى ينتهي إلى إذابتها فيه وابتلاعها من قبله[١٥]، وهكذا نجد أن فكرة انكسيمندر في اصل الوجود لم تكن خروجا عن التصورات الدينية بل هي تجسيدا لها وإقرارا لمبدأ العدالة الإلهية.

اماالفيثاغورية(نسبةالى فيثاغورس٥٧٢ــ٤٩٧ ق.م)[١٦]، فهي في جانبها الديني حركة مناهضة للمجتمع نتيجة لقسوتها فهي عبارة عن تعاليم دينية آو مجموعة من المحرمات تحاول أن تقيد الحياة الإنسانية، ولربما كان اضطهاد فيثاغورس من قبل الطاغية بوليكراتس نتيجة لذالك آو لان الفيثاغورية لديها إطماع سياسية .

لقد جمعت الفيثاغورية لأول مرة بين السياسة والدين والفلسفة في مذهب موحد، كما أكدت من خلال ذالك على عدم وجود عداء بين الدين والفلسفة والعلم، بل أنهما يسيران متوازيان ومتداخلان في أحيان كثيرة وفي إشكال متعددة وقد نجدوهما في بعض الأحيان في عقل المفكر الواحد.

اتخذت الفيثاغورية من أعضائها على شكل جماعات مبنية على الإخوة، والكل مسؤول عن حفظ الأسرار، وهم أشبه بالأسرة الواحدة، وبما أن التعاليم الفيثاغورية كانت تشمل معظم جوانب الحياة، لذالك فهي طريقة في الحياة.

أن الديانة الفيثاغورية توحي بقدرة الإنسان على تأسيس الدين، وفعلا كان فيثاغورس مؤسسا لدين جديد اضطهد الناس من خلاله لشدة قساوة تعاليمه مما أدى إلى رفضها من المجتمع، فضلا عن أن دينه الجديد كان سببا في اضطهاده، فقد بقي ملاحقا من النظام السياسي ومتخفيا حتى سنحت له فرصة الهروب من المدينة، في حين تعرض الكثير من إتباعه إلى الاضطهاد والتشريد حين احرق البعض منهم وقتل البعض الأخر خاصة في مدينة رجيوم وترنثا بسبب تمسكهم بتلك الديانة.

لقد كان الاضطهاد الديني للفيثاغوريين ذو اتجاهين، الأول موجه ضد المجتمع متمثلا بقسوة التعاليم الدينية وما حرموه على الناس من ملذات، مما كان سببا في ثورة المجتمع ضدها والت إلى النتيجة التي ذكرناها، والثاني موجه ضد الجماعة الفيثاغورية نفسها وما لاقته من العذاب والتشريد، وبذالك كانت أفكارهم الدينية وبالا عليهم وكانوا هم أول ضحايا الاضطهاد الديني بسب عقيدتهم الدينية، ففضلا عن مطاردتهم من قبل المجتمع والسلطة، كما كانوا يمنعون على أعضاء الجمعية إفشاء أسرارها، وإذا ثبت أن احدهم أفشى سرا فسيعرض نفسه لعقوبة الإعدام، كما حصل لأحدهم حين اعدم غرقا لإفشائه سرا هندسيا[١٧]، كما أن الفيثاغورية كانت تحرم على أعضائها آكل لحوم الحيوانات وبعض النباتات.

ومن الجدير بالملاحظة أن التعاليم الفيثاغورية لم تكن سرية أول أمرها، وألا كيف انتشرت بين الناس ورفضوها، ولماذ ثار المجتمع آنذاك ضدها، الأمر الذي يجعلنا نشكك في سريتها، بل أنها على الأرجح زاولت نشاطها السري بعد أن تم تحريمها وتشريد أفرادها واضطهادهم. ومن الجدير بالملاحظة أن معظم العقائد اليونانية القديمة مثل (الاورفية، الوسيس، والفيثاغورية )، كانت تعاليمها سرية أو هكذا صورت لنا، والحلقات التي كان يتلقى بها مريديها التعاليم هي الأخرى كانت سرية، فضلا عن أن أسماء المريدين لم تكن معلنة ويمنع إفشاء أي سر من تلك الأسرار، وقد حدث هذا الأمر لاحقا حتى مع حركات دينية إسلامية (كما عند إخوان الصفا)، وما تلاها من حركات سرية، فما هو السبب في ذالك ، اهو الخوف من الاضطهاد أم الخوف من انتشار تلك التعاليم أم هي طريقة للشهرة والذيوع، وما فائدة الديانة إذا لم تنتشر بين الناس. وربما يصح القول أن السرية لا تشمل كل الأفكار، بل أن نوعا منها الذي لا يلقى قبولا عند العامة لصعوبة فهمها أو كونها خارجة عن المألوف لأنها تهدد الوضع السياسي أو الديني آنذاك، هي التي كان يمنع تداولها بين غير المريدين، في الوقت الذي كانت فيه تعاليم وإرشادات دينية بسيطة متداولة بين الناس، فمثلا الإله الذي يرمز لأي نحلة سرية معروف، كما أن الامتناع عن الملبس والمأكل الفاخر وبعض الوصيا في الأخلاق يسمح به.

لقد كان فيثاغورس مطارد سياسيا وهذا يعني أن الديانة الفيثاغورية كان لها تأثير على الوضع السياسي آنذاك، مما جعل فيثاغورس يتخذ من السرية في عمله طريقا لضمان الاستمرار، وهذا يدلل على أن الساسة اليونان هم الذين حرضوا الشعب باسم الدين على اضطهاد فيثاغورس وجماعته لمخالفتهم التعاليم الدينية

والسياسية السائدة، كما لايمكن اعتبار أن الأصول الشرقية للديانة الفيثاغورية السبب في منعها واضطهاد مريديها، لان معظم التصورات الدينية اليونانية جاءت من الشرق.

إما اكسينوفان(٥٧٠/٤٨٠– ق.م)،الذي كان اشد أعداء فكرة تعدد اللالهة بعد هوميروس، فلم تروق له آلهة اليونان حين عدها بمنزلة البشر وان الأخير قادر على التلاعب بمصيرها وأشكالها، لابل أن الحيوانات هي الأخرى لو كانت تعي فكرة الألوهية لفعلت كما فعل الإنسان.

أن سخرية اكسينوفان في محاولته تلك كان الهدف منها القضاء على آخر معقل للفكر الأسطوري، كما استطاع أن يشق صف تلك الآلهة، نافيا أسباب وجودها، وداعيا للبحث عن اله واحد مدبر للكون، كما هاجم العبادات الاورفية وطرائق الاحتفالات التي تسيطر عليها الإباحية والسكر والهذيان، ونجد مثل هذه الانتقادات عند هرقليطس[١٧] أيضا، كما وجه اكسينوفان انتقاده الأكبر إلى هوميروس وهزيود بعدهما المسؤولين عن التصورات الدينية التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني عن الآلهة آنذاك.

لم يكن اكسينوفان الوحيد الذي سخر من الالهه، فقد كان هرقليطس (٥٤٠ــ٤٧٥ ق.م)، المعاصر له يرى أن الأساطير الدينية لا تستحق الاحترام والتقديس، وحينما إلف كتاب (حول الكل )، أهداه الىمعبد ارتميس[١٨]، ظنا منه أن تعاليمه أفضل من تلك الأساطير الدينية ويعبر في الكثير من الشذرات التي وصلتنا عنه عن تمرده على تلك الأساطير كما في النصوص الاتيه:

(أن ما هو الهي تخطته ملاحظة الناس...وذالك بسبب شكهم )[١٩]، و(أن الذي يعتبر بين الناس أسرارا، إنما هو طقوس مزيفة )[٢٠]، و(أن عملياتهم وأناشيدهم الاخصابية عروض شائنة ولو لم تكن في شرف الإله ديونيسوس، ولكن ديونيسوس الذي في شرفه يهذون ويقيمون أعياد كبيرة يشبه هادس (الجحيم))[٢١]، وفي محل نقده للاورفية يقول هرقليطس: (عندما يكونون مذنبين فإنهم يطهرون أنفسهم بالدم كذالك الذي يمشي في الوحل ويغسل نفسه في الوحل ولو لاحظه رفاقه بهذه الطريقة لاعتبروه مجنونا )[٢٢]. وهكذا نجد موقف الكثير من الفلاسفة تجاه التصورات الدينية السائدة، فقد شك بروتاغوراس(٤٨٠ــ٣٧٥ ق.م)، كبير السفسطائيين في وجود الآلهة وعدم قدرة الإنسان على التأكد من ذالك، في حين كان سقراط(٤٦٩ــ٣٩٩ق.م)، يتجاهلها ولا يعيرها أهمية تذكر، وديمقريطس(٤٧٠ــ٣٦١ق.م)، يجحدها، وهكذا كان للكثير من الفلاسفة الفضل في التقليل من قيمة تلك الآلهة، على الرغم من كونها تشكل النسق العام للحياة الدينية الأخلاقية في المجتمع اليوناني.

ومن الفلاسفة الذين لحقهم الأذى بسبب موقفهم من التصورات الدينية في المجتمع اليوناني القديم، انكساغورس (٥٠٠ــ٤٢٨ ق.م)، الذي عاش في أثينا أيام حكم الطاغية بركليز، حينما كانت مركزا للفكر اليوناني وبقي فيها ثلاثون عاما. ارجع انكساغورس العالم إلى مزيج أولي قديم توجد فيه كل الأشياء متناهية الصغر، تتكون من بذور فيها كل الطبائع تجتمع في كل جسم بمقادير متفاوتة ويتعين لكل جسم نوعه بالطبيعة الغالبة فيه[٢٣]، كما رأى أن الشمس قطعة من نار، وان القمر يحتوي على جبال، وليس للآلهة أي علاقة في صنع الشمس والقمر كما تقول الديانة اليونانية القديمة، مما أثار عليه سخط رجال الدين وغضبهم فحبسوه في أثينا وتكالب عليه الأعداء واتهموه بالإلحاد واستخفافه بالديانة الشعبية السائدة على الرغم من ابتعاده عن أي اتجاه ديني أو صوفي واستشهدوا بقوله (أن الشمس والكواكب إجرام صخرية ملتهبة من ذات طبيعية الأرض )[٢٤]، ثم نفي بعدها إلى أحدى المستعمرات الأيونية في بلدة لامبساكوس حيث توفي هناك بعيدا عن أثينا.

يذكر أفلاطون أن انكساغورس أول فيلسوف يستقر في أثينا وأول من نقل الفلسفة إلى أثينا وكان ذالك عام (٤٨٠ق.م )، وكان معلما لبركليز الطاغية وصديقه المخلص، وكان خصوم بركليز السبب في محاكمته بتهمة الإلحاد، فسجن وأفرج عنه بركليز، ثم نصحه بالرحيل عن أثينا[٢٥].

ومن الجدير بالذكر انه مهما كانت حقيقة دواعي اتهامه، فقد كانت الأسباب المباشرة دينية، وهكذا أدين انكساغورس لنزعته العقلية، وكان احد ضحايا الصراع بين العلم والتعصب الديني، وان اقتصرت عقوبته على النفي.

أما انبادوقليس (٤٩٠ــ٤٣٠ق.م)،المولود في مدينة اغريغنت الواقعة جنوب صقلية، فلم يكن فيلسوفا فقط بل كان شاعرا وعرافا وعالما طبيعيا ومصلحا اجتماعيا، ويعده البعض بطلا أسطوريا، تجول في جميع الأصقاع اليونانية آنذاك مما كان سببا في انغماسه في الحركة العلمية والدينية التي سادت البلاد اليونانية حينها، له الكثير من الأفكار المؤلفات، منها أغاني في التطهير وقصيدة في الطب وثلاث كتب عن الطبيعة، والوجود عنده يتألف من عناصر مادية وأخرى غير مادية وله الكثير من الاكتشافات العلمية منها إثباته أن للهواء جسم، واكتشاف وظائف بعض أجزاء الجسم[٢٦]، فضلا عن انه كان يطهر النفوس ويشفي الأجسام، وكان من أصحاب المعجزات والأساطير التي كانت سببا في سخط الجمهور عليه، الذي اضطره في النهاية إلى مغادرة صقلية ولم يعد لها ثانية، وهكذا كان احد ضحايا عقائد الجماهير.

ومن الجدير بالاشاره فضلا عما تقدم من الأسباب التي أدت إلى اضطهاد الفلاسفة، فان ازدهار الديمقراطية الحقيقية في البلاد اليونانية آنذاك كان عاملا مهما وسهلا بيد الساسة أو الأفراد المتنفذين وغير المتنفذين ومن زعماء الأحزاب، وكان من السهولة اتهام أي شخص بالخيانة أو الإلحاد ومحاكمته فكانت المسالة الدينية الوسيلة الممكنة بيد أولئك للنيل من الفلاسفة الساعين إلى كشف الحقائق الدينية أولا ثم العلمية وبيان سذاجة المعتقدات السائدة، وفي الوقت نفسه كانت وسيلة لتصفية الحسابات الفردية والحزبية، وهكذا كانت الحال مع سقراط وأرسطو لاحقا.

لقد كانت المسالة الدينية حاضرة في محاكمة سقراط (٤٦٩-٣٩٩ق.م) ولكن هذه المرة كانت عاملا بيد مدعي الاتهام ضده وهذا يدلل على أن الاضطهاد لم يكن بسب التصورات الدينية، بل أن الدين كان حجة بيد الساسة وعلى مر العصور للنيل من الخصوم، ومازالت هذه الطريقة سائدة في البلدان المتخلفة وغير الديمقراطية. لقد كانت مشكلة سقراط سياسية أكثر من كونها دينية، فلم يكن أول من نادى باله واحد حتى يتهم بإنكاره الآلهة والاستهزاء بها بل سبقته إلى ذالك المدرسة الايلية، كما أن الاتهام الديني الموجه ضده لم يكن السبب الوحيد في أدانته.

لقد كانت علاقة سقراط مع أبناء الطبقات السياسية والشخصيات المعروفة في المجتمع اليوناني آنذاك ورجال الفكر ومدعي الثقافة والشعراء والخطباء وغيرهم كثيرون من الذين حاورهم سقراط على غير ما يرام، بل أن سقراط كان يزدريهم جميعا ويتهمهم بالجهل وهو ما أثبته بالفعل وما أقرته كاهنة دلفي الناطقة بوحي الالهه ابولو[٢٧]، وكانوا جميعا يتحينون الفرصة للنيل منه. كما أن للديمقراطية المقيتة اثر مهم في توجيه الاتهام ضده، فقد كان الدستور الاثيني يعطي الحق لأي مواطن يوناني بمقاضاة من يراه خصم له ويكون القضاء ملزم بالنظر فيها، وهكذا كان الحال مع سقراط إذ تقدم ثلاثة من مواطني أثينا بدعوى قضائية يتهمونه بإنكار آلهة المدينة والاستهزاء بها والقول باله واحد وإفساد عقول الشباب والوقوف ضد الديمقراطية، وكانت الدوافع شخصية

وسياسية، وهكذا قضت المحكمة بإعدامه ظلما لا لسبب مهم إنما لإرضاء نزوات المتخلفين من الذين حاورهم وأحرجهم وبين للناس مدى جهلهم.

أما مع أفلاطون(٤٢٧-٣٤٧ق.م) فالصراع كان سياسيا خالصا ولم يكن للعقائد الدينية اثر فيه، لان توجهاته كانت سياسية، فقد سعى طوال حياته لتحقيق حلمه في الدولة المثلى ولكن ذالك لم يتحقق أبدا، ففي محاورته في السياسة (الجمهورية )[٢٨]، كان قد وضع مجموعة قوانين لقيام نظام عادل يتفلسف به الحكام أو يحكم به الفلاسفة، وكان في مطلع حياته شانه شان سائر الشباب الاثيني المنحدرين من اسر عريقة يريد إن يكرس حياته للسياسة وكان يدفعه في ذالك أقربائه الذين كانوا أعضاء في حكومة الأقلية (٤٠٤ق.م). ولكن حكومة الأقلية اضطهدت الشعب وغالت في ارتكاب الجرائم السياسية وبدأت بمطاردة سقراط، أيقن حينها أفلاطون بعدم جدوى العمل السياسي لذالك اعتزل الناس بعد إعدام أستاذه سقراط. وتذكر بعض الروايات على الرغم من تضربها في الرأي عن حياته بعد إعدام أستاذه سقراط، انه في سن الأربعين ارتحل إلى صقلية ثم إلى جنوب إيطالية وكان الهدف من تلك الرحلة الاتصال بالمدرسة الفيثاغورية، حيث كانت مزدهرة في تلك المدة، فضلا عن تلبيته لدعوى من حاكم صقلية (ديونوسيوس الأول )، وفي صقلية صار صديقا لصهر ديونوسيوس (ديون)، تلك الصداقة التي تخوف منها ديونوسيوس كثيرا، فقد ذكرت بعض المصادر أن أفلاطون وديون خططا للإطاحة به، ولكن انكشف أمرهم، فأمر ديونوسيوس احد رجاله بأخذ أفلاطون وبيعه في سوق الرقيق في ميناء اجينا مسقط راس أفلاطون، وكان من الصدف أن احد أصدقائه من قورينا قد عرفه فافتداه وأنقذ حياته من العبودية وبعث به حرا إلى أثينا، ثم بعد تلك الحادثة استقر في أثينا وانشأ الأكاديمية وبقي فيها حتى وفاته عام (٣٤٨ق.م)[٢٩].

أما مع أرسطو(٣٨٤-٣٢٢ق.م) فان الأمر مختلف تماما ،فقد كانت علاقته مع البلاط الملكي (المقدوني)سببا في اضطهاده مرتين، الأولى بعد وفاة أفلاطون عام (٣٤٨ق.م)، من قبل الحزب الوطني الذي تأسس في أثينا لمقاومة سلطة فليب المقدوني والذي كان يتزعمه (ديموستين) ابرز المعارضين لسلطة المقدونيين في أثينا، اضطر أرسطو حينها إلى ترك أثينا مكرها قاصدا طرواده خوفا من ملاحقته من قبل ديموستين ورفاقه، لكنه عاد إليها في عام (٣٣٥ق.م)، بعد أن استدعاه الملك فليب المقدوني للإشراف على تربية ابنه الاسكندر، وبقي فيها حتى وفاة لاسكندر عام (٣٢٣ق.م).

لقد كان أرسطو مطاردا سياسيا على الرغم من انه لم يعمل في السياسة، فبعد وفاة الاسكندر عاد الاثينيون لمطاردة الأجانب في أثينا وكان أرسطو احدهم مع انه لم يعمل في السياسة، وعلى الرغم من علاقته بالاسكندر قد ساءت في أواخر عمره إلا أن ذالك لم يمنع عنه سخط الاثنين، فقد لجا الاثينيون إلى حيلة طالما استخدمت للنيل من الفلاسفة واضطهادهم من قبل، فقد اتهموه بالإلحاد وكان الهدف سياسيا ولكن بحجة دينية، ولهذا رأى أرسطو أن من الحكمة أن لا يجعل الاثينين يرتكبون نفس الجريمة التي ارتكبوها مع سقراط، فلجا مكرها إلى مدينة خلقيس موطن أمه، حيث توفي في السنة التالية (٣٢٢ق.م)، وهو في سن الثانية والستين[٣٠].

**الخلاصة:**

**لقد كانت العقيدة الدينية** يكل إشكالها وعلى مر العصور سببا بيد الساسة لتمرير مخططاتهم الإجرامية في صراعهم مع العلماء والفلاسفة صراع الجهل والظلم مع العلم والعدل، وكانت الأطماع السياسة هي الحافز الأساس في هذا الصراع، تساعدهم في ذلك النظم الديمقراطية المقيتة التي كانت سائدة في البلاد اليونانية على الرغم من اختلافها من مدينة لأخرى.

أن شعلة العلم والفلسفة التي انبعثت من المدن اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد وماتلاه على الرغم من تعرضها بين الحين والأخر إلى انتكاسات وهزات كثيرة، تمثلت بمحاولة البعض من السياسيين والمتنفذين في المجتمع اليوناني النيل من الفلاسفة بطريقة أو بأخرى إلا إنها صمدت إمام كل التحديات.

لقد كان من أسوء مخططات السياسيين هو استخدام العقيدة الدينية بوصفها وسيلة في تحقيق ذالك، فضلا عن كونهم أكثر الناس بعدا عن الدين، ولكن تلك كانت الوسيلة الوحيدة للنيل من الفلاسفة.

لقد أدى ذلك إلى اضطهاد الكثير من الفلاسفة اليونان باسم العقيدة الدينية كما هي الحال مع فيثاغورس وامبادوقليس وانكساغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، ودائما كان السبب في ذلك هو الاستهزاء بإلهة المدينة أو إنكارها أو إنكار قدسية الشمس والقمر والكواكب الأخرى.

أن العقيدة الدينية اليونانية هي في الأصل لم تكن يونانية كما مر بنا سابقا، بل هي مجموعة تعاليم جاء بها الوافدين على البلاد والتجار والفلاسفة والمستعمرين، وكان هذا سببا جعل اليونان أكثر الشعوب حرية في أنظمتهم المختلفة، كما كان سببا في الانبعاث العلمي والفلسفي في القرن السادس قبل الميلاد، فقد كانت النظرةالى العقيدة الدينية الشعبية عند الكثير من الفلاسفة اليونان خاصة طاليس وسقراط محل استهزاء وإنكار.

ومن الجدير بالملاحظة وعلى الرغم من أن العقيدة الدينية كانت وافدة من الخارج إلا أن العامة والساسة لا يترددون في إلحاق الأذى بكل من يحاول الاستهزاء بها أو إنكارها، لان أواصر النسيج الاجتماعي في البلاد اليونانية ومعظم البلدان في العالم القديم كانت أواصر دينية يستمد النظام السياسي منها ديمومته وبقائه، فضلا عن أن الحرية كانت سلاحا ذو حدين بيد الجانبين المتصارعين، فقد اتاحت للفلاسفة والعلماء فسحة من التأمل والتفكير بعيدا عن الضغوط والقيود الاجتماعية والدينية، ومن الجانب الأخر كانت عاملا مهما بيد السياسيين وأنصاف المثقفين لاضطهاد أهل العلم والفلسفة باسم العقيدة الدينية والتنكيل بهم.

---

**الهوامش**

١- يروى عن اكسينوفان انه سمع احدهم يقول تمنى أبي أن أصبح رجلا فاضلا فامرني أن احفظ إشعار هوميروس على ظهر قلب، جورج سارتون، تاريخ العلم، ج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣، ص٢٩٦.

٢- المصدر السابق، ص٤٠١.

٣- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج١، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥، ص٣٠.

٤- اندرو وربرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة محمد توفيق حسين، لندن ١٩٧٩، ص١٤٩.

٥- سارتون، المصدر السابق، ص٢٣٢.

٦- المصدر نفسه، ص٢٩٨.

٧- مركريت تيلور، الفلسفة اليونانية، تعريب عبد المجيد عبد الرحيم، وماهر كمال، القاهرة ١٩٥٨، ص١٧.

٨- ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد٣، ج٦، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص٢٥٠.

٩- من المعلوم أن طاليس نشاء في مالطية وينسب إليها وكانت تتمتع بنوع من الاستقلال عن المدن الأيونية الأخرى، حتى في زمن احتلال قورش لبلاد اليونان، وكان الهدف من ذالك إبقائها سوق حرة للاستفادة منها، وكان ذلك الاستقلال وفر نوع من الحرية الفكرية التي ميزتها عن المدن الأيونية الأخرى حتى عام ٤٩٤ ق.م حين سقطت على يد الفرس، انظر:ديورانت، المصدر السابق، ص٢٤٨.

١٠- الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، مجلد الأول،ص٧٢١.

١١- المصدر نفسه، ص٣١٧.

١٢- المصدر نفسه، ص٣١٨.

١٣- كريم متي، الفلسفة اليونانية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١، ص٣٦.

١٤- أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من الأدب السامي، دار النهار للنشر، ط٢، بيروت ١٩٧٩، ص٩٠.

١٥- windleband wilhand history of ancient philosophy now York 1956 p:33

١٦- فرد ريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب سيهيل القش، المؤسسة الجامعة للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١، ط١، ص٥١.

١٧- أسس فيثاغورس في حوالي القرن السادس قبل الميلاد فرقة دينية سياسية وفلسفية سميت بالفيثاغورية، تصورت نوعا جديدا من القداسة يحتاج بلوغه إلى رياضيات من الزهد وامتناع عن المحرمات، مثل الامتناع عن تناول اللحم والسمك والبقوليات والخمر وتجنب لبس الصوف، فضلا عن تعاليم أخرى مثل عدم التقاط ما يقع تحت الأرض، وعدم لمس الديك الأبيض، وعدم تقطيع الخبز وعدم الأكل من رغيف كامل وعدم تحريك النار بقضيب من الحديد وعدم السماح للعصافير ببناء أعشاشها تحت السقف الذي ينام فيه الفرد، انظر:سارتون، المصدر السابق، ص٤١٨، ٤٤٣.

١٨- يوسف كرم، المصدر السابق، ص٢١.

١٩- محمد علي أبو ريان، المصدر السابق، الشذرة ٦٣، ص٨٣.

٢٠- المصدر السابق، الشذرة ٧٦، ص٨٣. وقارن الاهواني السابق، الشذرة ١٢٥، ٥، ١٤، ص١١٢.

٢١- المصدر السابق، الشذرة ٧٧، ص٨٣.

٢٢- المصدر نفسه، الشذرة٧٨، ص٨٣.

٢٣- موسوعة الفلسفة، عبد المنعم ألحفني، ج١، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٩، ص٢٠٢.

٢٤- المصدر نفسه، ص٢٠٢.

٢٥- أفلاطون، محاورة فيدروس، ص٢٧٠.

٢٦- جورج سارتون، المصدر السابق، ج٢، ص٥١.

٢٧- علي سامي النشار، نشأت الفكر الفلسفي عند اليونان، ص٢٣٩.

٢٨- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، ص١٥٥.

٢٩- المصدر السابق، ص١٥٤.

٣٠- المصدر نفسه ص٩٩.